
كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

فيلبس
الرسول متبلِّد العقل

لا يمكن للمرء أن يقرأ أسفار الكتاب المقدس دون أن يلاحظ أن هؤلاء الكتاب الأربعين أو نحو ذلك كانوا مؤرخين ومحللين من الطراز الأول، لأنهم كانوا يكتبون بوحي الروح القدس (٢بط ١:٢١). لم يكونوا يكتبون إلا ما هو ضروري ولم ينساقوا وراء تسجيل الحقائق غير الضرورية. فقد قدموا للعالم كل ما كان ضرورياً لمعرفته بطريقة تجعله سهل الفهم. وفي بعض الأوقات، قد نشعر أن بعض تواريخ الحياة قليلة، ومع ذلك فقد سجلت لنا القدر الضروري للتمييز بين سمات مختلف الشخصيات وأن نقرأ الشيء الكثير فيما بين السطور.

ويلاحظ أيضاً أن ما قد يحذفه كاتب من تصويره للشخصية، يصيغه كاتب آخر بلمسات قليلة ليعطينا صورة أكثر اكتمالاً. وهكذا، كما يذكرنا دانيل ماكلين:

«يتعامل البشيرون الثلاثة الأوائل أساساً مع الحقائق الأبدية في حياة المسيح، بينما يستخدم كاتب الإنجيل الرابع المعلومات التاريخية كأساس لإعطاء صورة عن المعلم الإلهي، وهو يكشف ببطء، من البداية إلى النهاية، عن أعظم تصور روحي لملكوت الله. إن كُتَّاب الأناجيل المتفقة (الإزائية) الثلاثة مؤرخون، سجلوا الدليل الخارجي على العمل والكلمة إثباتاً للإرسالية الإلهية للمسيا. بينما كان هدف يوحنا من تسجيل المعجزة والمثل أن يبين المبدأ العظيم الكامن وراء حياة المسيح في كشفه لما وراء هذه الظروف الخارجية».

وهذا المبدأ ملحوظ أكثر ما يكون فيما يتعلق بكل ما نعرفه عن فيلبس، الذي يسجل يوحنا وحده شخصيته المتميزة. إن كل ما قررته الأناجيل الثلاثة الأوائل عن



فيلبس لا يتضمن سوى ذكر اسمه في قوائم الاثنى عشر رسولاً الذين اختارهم يسوع. ولكن يوحنا هو الذي يرسم صورة أدبية لشهادة فيلبس التي لم يذكرها الكتاب الآخرون، وهو أيضاً الذي يتحدى معرفتنا بآخرين من الدائرة الرسولية مثل نثنائيل وتوما. ومع أن فيلبس مذكور في القوائم الأربعة الكاملة للاثنى عشر (مت ١٠:٣، مر ٣:١٨، لو ٦:١٤، أع ١:١٣)، إلا أنه من الشيق أن نلاحظ أن يوحنا هو الكاتب الوحيد الذي يخبرنا بكل ما يجب أن يقال عن فيلبس، ومع ذلك فهو الوحيد دوناً عن البشيرين الأربعة الذي لا يورد القائمة. ويعطينا البشيرون الثلاثة اسمه ويطلعونا على حقيقة أنه كان رسولاً، ولكن يوحنا يغض الطرف عن كرامة المنصب الذي كان فيلبس يشغله ويعطينا صورة جانبية عن الرجل نفسه بما فيه من خصائص متعلقة به وحده. ومع أن الحقائق الخاصة به

قليلة، إلا أنها كافية تماماً لكي ندرسها لنحصل على قدر كبير من الفائدة (يو ٦:٥-٧، ١٢: ٢٠-٢٣، ١٤: ٨).

١- مواطن من بيت صيدا الجليل

نستجمع من سجل يوحنا أن فيلبس ولد في بيت صيدا (١: ٤٤-٥١، ١٢: ٢١). المدينة التي قال عنها ربنا أشياء مخزية (مت ١١: ٢١)، لأن الناس هناك رفضوا الحق الذي أعلنه المسيح لهم، والذي أيده بآياته الباهرة. ونتيجة هذا الرفض كان محزناً لأن معظم الألفاظ المريعة بخصوص مصير رافضيه جاءت على لسان نفس من سبق وأعلن الأخبار السارة. ومع ذلك فمن نفس هذه المدينة جاء فيلبس ليكون شاهداً للرب. وكان لبيت صيدا امتياز سماع الحق الذي كان له الامتياز الأعظم بمعرفته وإعلانه، بشر فيلبس أهل بلدته الذين سبق أن رفضوا يسوع. صحيح أن الشهود الأمناء للمسيح يأتون أحياناً من أماكن غير متوقعة. مثل القديسين في ساروس الذين هربوا من فساد المدينة التي كانوا يعيشون فيها (رؤ ٣: ٤).

ألا يوجد مفتاح لتاريخ فيلبس الروحي في القول «وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس؟» إنها أكثر من مجرد ملحوظة جغرافية، أو إعلان عن العنوان البريدي لفيلبس. الجزء العام من عبارة يوحنا ليس فقط أن فيلبس ولد في بيت صيدا بل إنها كانت مدينة أندراوس وبطرس. والتجارب تقدس الأحداث والأماكن. وكانت بيت صيدا لا تمثل لدى فيلبس المكان الذي يسكن فيه فقط، بل ما هو أكثر بما لا يقاس، صداقاته. اثنان من قديسي الله كانا يعيشان في بيت صيدا هما الأخان أندراوس وبطرس. كانا صديقين لفيلبس، وساعدا على إعداده لدعوته الرسولية.

كان فيلبس مديناً بروحه، بعد الله، لأندراوس، وفي الأناجيل كانا وثيقي الصلة. كان فيلبس يلجأ لأندراوس عند مواجهة المصاعب، لأنه كان أبوه في الإيمان. وكنفسين باحثين، كان أندراوس وبطرس متطلعان إلى رجاء إسرائيل، ومن خلال مثال وتأثير بطرس، أصيب فيلبس بعدوي الانتظار المقدس. قال أوغسطينوس في عبارة قوية: «ما كان يمكن للكنيسة أن تربح بولس لولا صلاة استفانوس». وبنفس الطريقة، يمكننا أن نقول: «ما كان يمكن للكنيسة أن تربح فيلبس لولا أندراوس وبطرس». لواستطعنا أن نسأل فيلبس كيف كان بإمكانه أن يجلس على واحد من الاثنى عشر كرسياً ليدين إسرائيل، وأن ينقش اسمه على واحد من الاثنى عشر أساساً للمدينة الأبدية، فلا شك أنه كان سيقول: «وُلدت في بيت صيدا، مدينة أندراوس وبطرس». هل بإمكاننا أن نقول إن حياتنا وسيلة للبركة لمن يعيشون معنا في بيت واحد، أو يعيشون في نفس الشارع أو في نفس المدينة؟ وكملح الأرض هل نعمل كمادة حافظة ضد الفساد المحيط والتلوث؟

ربما يجدر بنا، عند هذه النقطة، أن نوضح أن فيلبس الذي نحن بصدده الآن - فيلبس الرسول - لا يصح أن نخلط بينه وبين فيلبس، الشماس الكارز، الذي نقرأ عنه في سفر أعمال الرسل. ومع أنهما يحملان نفس الاسم، إلا أنهما شخصان مختلفان. ففيلبس الكارز كان المفسر المقنع للعهد القديم الذي اقتاد وزير خزانة الملكة كنداكة ملكة الحبشة إلى المسيح، والذي بدوره أدخل المسيحية إلى ذلك الجزء من العالم (أع ٦: ٥، ٨: ٥-٤٠). هناك حقيقة لافتة للنظر لا يجب أن تغيب عن أذهاننا وهي أننا لم نقرأ أبداً عن الشماس فيلبس قبل يوم الخمسين، وأننا لم نقرأ أبداً عن الرسول فيلبس بعد تلك الحادثة التاريخية.

ثم أنه، عندما استخدم الرب فيلبس الشماس بقوة وسط السامريين، استدعى اثنين من الرسل من أورشليم،

ليزورا المكان، حتى يمكن للمتجددين أن يقبلوا الروح القدس على أيدي الرسولين. ولو كان فيلبس نفسه واحداً من الرسل، لما كانت هناك حاجة لمثل هذا الاستدعاء من جانب الكارز (أع ٨:١). نحن لا نعرف أين وكيف كان فيلبس الرسول يخدم الرب أثناء الخدمة الكرازية لفيلبس الشماس. فقد كان كل واحد يعيش ويعمل للرب الواحد في منصبه وبطريقته.

٢- يهودي ذو اسم أممي

الأسماء الجيدة لا يمكن أن تُشترى، ولكنها تورَّث أو تُكتسب واسم فيلبس الجذاب، والذي يعني «محب للخيول» واحد من هذه الأسماء الحسنة والتي يا للأسف لم يكن يحملها دائماً رجال صالحون. وبما أن فيلبس اسم يوناني، فيبدو أنه كان للرسول صلات يونانية، مما يفسر لماذا تكلم الرسول بالنيابة عن اليونانيين في عيد الفصح، ولماذا جاء اليونانيون الذين كانوا يبحثون عن يسوع أولا إلى فيلبس. يذكرنا اسم الرسول بتاريخ الغزو المقدوني لآسيا على يد الإسكندر الأكبر، ابن الملك فيليب المقدوني. فقد كانت عادة شائعة في بعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية أن يسموا الأطفال باسم الملك الحاكم. ومن الممكن أن يكون والدا فيلبس أسمياه هكذا على اسم فيلبس رئيس ربع على الجليل في ذلك الوقت.

هناك سمة فريدة متعلقة بالرسول وهي أننا لا نعرف له اسماً آخر. لابد أنه كان يمتلك اسماً يهودياً، لأن كل الرسل كانوا يهوداً، ولابد أن اسم والده كان مستخدماً كاسم للعائلة، ولكنه لم يعلن لنا، ولكن اسمه الأممي، لم يكن ذا أهمية نظراً لوجهة نظر فيلبس المسيانية. فقد كان عبرانياً خالصاً من ناحية الاقتناع الديني، وقد شعر منذ وقت مبكر باللمسة القوية لتعليم النبي الذي ينادي بالملكوت على ضفاف الأردن.

٣- باحث تم العثور عليه

يخبرنا يوحنا أنه بعد دعوة أندراوس بيوم، أراد يسوع أن يذهب إلى الجليل، وأنه بعد أن وجد فيلبس قال له: «اتبعني» (٤٣:١): يا لها من عبارة تحمل الكثير من المعاني تلك التي تقول: «فوجد (يسوع) فيلبس». إن الكتاب المقدس ميال لاستخدام هذا الفعل المتعدي «يجد» إن الشخص الأول الذي بحث عنه يسوع كان فيلبس، وقد أصبح تلميذه. إن الكلمة «يجد» تتضمن بحثاً دؤوباً مخلصاً. «اطلبوا تجدوا» لقد طلب يسوع ووجد فيلبس، ولكن من الواضح أن فيلبس لابد أنه طلب يسوع أيضاً، لأنه قال لنثنائيل «وجدنا... يسوع» (٤٥:١). كان الطلب متبادلاً، وهكذا كان أيضاً فرح العثور على الشخص المطلوب.

إذ ينظر كثيرون منا إلى بداية حياتنا المسيحية يمكنهم أن يقولوا: «طلبت الرب فاستمع إليَّ». آخرون مضطرون للاعتراف بالقول: «لقد بحث عني يسوع عندما كنت غريباً». في الحالة الأولى كان يسوع مطلوباً، وفي الثانية فهو الذي طلبنا. لقد سمع أندراوس يوحنا المعمدان يقول: «هوذا حمل الله!» وفي الحال خرج ووجده. كان طلبه للمسيح سبباً في كونه رسولاً. ولكن فيلبس كان مديناً لوجوده في زمرة الرسل لبحث المسيح عنه. «وجد (يسوع) فيلبس» الراعي وجد أحد الرعية، والطبيب وجد المريض، والمخلص وجد الخاطيء، ولكن سواء طلبنا أو طُلبنا فهذا لا يهم، الشيء الكلي الأهمية أن الخلاص يجب أن يسبق التلمذة.

وجد يسوع فيلبس. لم يوجد هذا «التلميذ الذي دعى أولاً» بالصدفة، أو اعتباطاً. ففي المعاملات الإلهية لا يوجد مكان للصدفة أو الحظ. لقد كان من المحتم أن يلتقي يسوع وفيلبس ، وعن طريق الاتصال المباشر أُدخل فيلبس إلى الحظيرة. لم يتدخل صديق، ولم يوجهه صوت بشري. وكما

كان شخص، مثل سمعان الشيخ، ينتظر تعزية إسرائيل، كانت أذن فيلبس مفتوحة، وكان قلبه مستعداً، وما أن سُمع الصوت السماوي يقول «اتبعني» حتى انطلق المخلص والخاطيء معاً. يوجد بين قديسي اليوم من يطلبهم المسيح ويبحث عنهم أولاً، دون وساطة بشرية، وقد أصبحوا له فوراً، كما حدث مع فيلبس. لقد كان لفيلبس امتياز أن يكون أول من دعى للتلمذة. وهكذا كان باكورة تلاميذ ربنا. وعلى الرغم أن أندراوس وبطرس كانا أول من أتيا إلى المسيح، إلا أنهما عادا لممارسة مهنتهما، وبعد حوالي سنة دعيا إلى التلمذة. ولكن فيلبس اتبع المسيح، حالماً وُجد.

من المفيد أن نلاحظ ترتيب الطلب والإيجاد الذي يسجله يوحنا. فبعد أن وجد أندراوس المسيا، فإنه وجد سمعان، وفيما بعد ذلك، يجد فيلبس نثنائيل. إن العلاقة بين الطلب والإيجاد في كل أرجاء الكتاب المقدس تعتبر أشبه ما تكون بالناموس الطبيعي الذي يتسم بكل الدقة والحتمية، فأحدهما يعتبر نتيجة ثابتة غير متغيرة وضرورية للآخر. فالطلب والإيجاد يردان دائماً جنباً إلى جنب.

«إن طلبتموه يوجد لكم» (٢أخ ١٥:٢)

«وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم» (إر ١٣:٢٩)

«اطلبوا تجدوا» (مت ٧:٧)

«وجدت من الذين لم يطلبوني» (إش ٦٥:١)

«اطلبوا الرب مادام يوجد» (إش ٥٥:٦)

وهكذا، فكما يعقب النهار الليل والصيف الشتاء، هكذا كل من يطلب يجد. ما الذي استطاع فيلبس أن يفعله بمجرد أن وجده المسيح، سوى أن يجرى إلى صديقه نثنائيل ويصيح «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء». ها هنا إذن بحث لا يخيب أبداً. ياليت عصرنا يكون عصر البحث عن يسوع! إنه من زاوية، عصر بحث الجماهير عن الخطية، واللذة، والثروة، وإرضاء الذات، وليس البحث عن ذاك الذي هو المصدر السري لكل شيء ثمين. «الذين يطلبونني يجدونني».

٤- متجدد أصبح رابحاً للنفوس

ما أن وجد فيلبس، حتى مضى ليجد آخرين. فبعد أن لبى دعوة المسيح، مضى وأصبح واسطة في تجديد نثنائيل ودعوته. عندما التقى يسوع بفيلبس وجد قلبه المشتاق، وعقله المستفسر، ونفسه التواقة للهدف. وهكذا كان الحال مع أول متجدد على يد فيلبس عندما اتصل بيسوع. عندما بدأ يسوع يستجمع تلاميذ حوله، كان من المألوف بالنسبة لكل تلميذ جديد أن يبحث إما عن قريب أو عن صديق، ليأتي به إلى المعلم. يقول دين فارار إن فيلبس، ببحثه عن نثنائيل «كان يمارس أقدس امتياز للصداقة». ياله من حافز للكرازة الشخصية نراه في دعوة هؤلاء التلاميذ الأوائل!

أصبح المهتدي الجديد كارزاً، لأنه بعد أن خلص، قام بالخدمة، ولأنه كان متحمساً لكي يخبر الآخرين عن الخبر السار، فإنه لم يضع لحظة واحدة. لقد خرج، لا لكي يأتي بأردأ معارفه، بل بأحسنهم، الشخص الذي وجده فيلبس يقرأ كتابه المقدس ويصلي تحت شجرة تين. لقد كان قلب فيلبس يتوق لصديقه العزيز ورفيقه. كانت بين التلاميذ الأوائل قرابة تربطهم سوياً، قبل أن يوحدهم سيدهم في شركة أسمى. ونفس الكلمة استخدمت عن غيرة فيلبس النابعة من محبته الأولى كما ذكرت عن أول احتكاك له بالمسيح وجد (يسوع) «فيلبس» الذي وجد «نثنائيل». بعد أن استحوذ المسيح على فيلبس، كان كالعامل المساعد الذي يعمل على التخمر والانتشار، وعن طريق أول تلميذ دعاه»، جاء بالأخبار السارة لنفس باحثة أخرى. وهكذا، فإن نثنائيل، كشخص حلو الشمائل، بهرته وجذبته السعادة

الغامرة التي اختبرها صديقه. يقترح بعض المفسرين أن فيلبس ونثنائيل، أو برثولماوس، كانا أخوين، فإن كان الحال هكذا، فإنه كما ذهب أندراوس ليجد أخاه، هكذا مضى فيلبس ليجد أخاه أيضاً (يو ١: ٤٠-٤٦).

عندما تلقى نثنائيل الخبر السار الذي أعلنه فيلبس بحماس، فإن الرجل الذي لا غش فيه طلب الدليل على أن الشخص الذي وجد فيلبس كان هو المسيا حقاً. ولكن فيلبس إذ كان يعلم بعدم قدرته على الاقناع، رد على شكوك صديقه بتقديم الدعوة العاجلة: تعال وانظر.

وكرسول ناجح استطاع أن يقول: «يسوع وجدني» ولذلك استطاع أن يقدم حجة الاختبار كحجة قوية ودليل واضح إذ قال: «تعال وانظر!» لقد رأى فيلبس يسوع كالمسيا، واقتنع بذلك، وعلم أن أفضل دليل يقنعه بأنه كان على صواب هو الدليل الذي يستند على «النظر». ويمكن أن نقول دفاعاً عن نثنائيل، إنه استجاب لطلب فيلبس، وبرؤيته ليسوع صار بالمثل تلميذاً له. في خضم الكرازة الشاملة التي يتسم بها عصرنا، يبدو أنه غاب عن أنظارنا ضرورة وفاعلية الكرازة الشخصية. فقد كان هؤلاء المتجددون الأوائل يمثلون جماعة تكونت من أفراد. فقد انطلق كل من تجدَّد ليربح شخصاً آخر ليسوع. من المؤكد أن بطرس كان الشخصية القيادية للكرازة الشاملة كما نجد في سفر أعمال الرسل، ولكنه هو نفسه كان يمثل ثمرة مقتطفة باليد، لأن أخاه الأقل أهمية هو الذي اقتاده إلى المسيح.

٥- رفيق لشخص ذي عقلية أكثر ذكاء

في القوائم الثلاث للرسل والموجودة في الأناجيل الثلاثة الأوائل، يوضع فيلبس دائماً مع نثنائيل كرفيق أو زميل في العمل. وعلى الرغم أنهما كانا جليليين، إلا أنه ليس لدينا معلومات عن كيفية ارتباطهما معاً. والقائمة الرابعة للرسل في (أع ١) تجمع ما بين فيلبس وأندراوس، ربما كنتيجة للتغيير في موقف توما وموقعه بعد اعترافه الشهير بلاهوت المسيح.

الإثنا عشر يمكن تقسيمهم إلى ثلاث رباعيات، وفي كل قائمة، يرأس فيلبس الرباعية الثانية، يتبعه نثنائيل أو برثولماوس، ويوجد فيلبس دائماً كالخامس في الترتيب في القوائم، وفي كل قائمة تظهر الأسماء هكذا على التوالي. أندراوس وفيلبس ونثنائيل. وعندما يذكر اثنان منهما نجد أندراوس وفيلبس. إن موهبة فيلبس في فن الصداقة لم تجذب إليه فقط أندراوس عن طريق التقارب الروحي، ولكنها ظهرت أيضاً عن طريق قلقه على نثنائيل. سأل أحدهم الروائي الإنجليزي الشهير تشارلس كنجيزلي هذا السؤال: «ما سر حياتك؟» أخبرني، حتى أجعل حياتي جميلة مثلك. أجاب كنجيزلي باتضاع: «لقد كان لي صديق» ويُظهر تاريخ حياة الشخص الذي كان يدين له الروائي بأكثر مما تستطيع الكلمات أن تعبر عنه.

كان يمكن لفيلبس أن يقول: «كان لي صديقان كانت مشورتهما حلوة، وكانا يثقان بي ثقة كاملة، وكانت رفقتهما متميزة. لقد أحببنا وخدمنا نفس الرب، وكان كل واحد مصدر ثراء للآخرين. كان أندراوس في طرف، ونثنائيل في الطرف المقابل - لم يكن هناك ثلاثة في بيت صيدا ينعمون بالسعادة مثلنا». على الرغم أن كل ذلك صحيح إلا أنه لا يسعنا سوى أن نتأثر بالفروق الشاسعة فيما بين شخصيات الرسل. فكم كان الضدان متآلفين! خذ على سبيل المثال فيلبس ونثنائيل كايضاح لاجتماع النقيضين في شركة واحدة، وكدليل على أن المسيح له مكان لكل واحد فينا بكل ما فينا من اختلافات شخصية.

كان فيلبس رجلاً بسيطاً، بطيئاً في اتخاذ القرار، متردداً في الأخذ بزمام المبادرة. وترى بساطة القلب والفكر في كل ظهور له في قصة الإنجيل. ومع أن له اسماً يونانياً،

إلا أنه لا يمتلك الذكاء الخارق ولا المهارة التي يتسم بهما اليوناني بل يبدو كإنسان مجتهد في عمله لكنه بطيء الفهم.

ولكن نثنائيل مختلف عن صديقه. كان حاضر البديهة، متيقظ الفكر. يرى في لمح البصر المتناقضات المتواجدة في أي عبارة. وهكذا شعر أنه لا شيء صالح يمكن أن يخرج من الناصرة. لقد استطاع أن يفهم الكتاب المقدس، وعلم ما يكفي منه مما جعله مقتنعاً بأن يسوع هو الشخص الذي يفي بتوقعات النبوات القديمة. ولكن على الرغم من اختلاف طبيعتهما، إلا أن الرب أرسلهما معاً – الرجل البطيء الفهم مع الرجل حاضر البديهة، لأنه كان محتاجاً لكليهما، وكان كل منهما بحاجة إلى الآخر. نحن نقرأ أن يسوع أرسل تلاميذه اثنين اثنين. كان لابد من اتباع مبدأ المعية. هذا، لأن الاثنين معاً، يشجع كل منهما الآخر، ويصحح كل منهما أخطاء الآخر.

لقد قيل إن «واحد + واحد أكثر من اثنين». والاشتراك في تحمل المسئولية يعني زيادة القوة. والانعزال في الخدمة المسيحية تكون غالباً سبباً في عدم الكفاءة. وهكذا فإن الشركة في المخاطرة مبدأ إلهي. وهكذا فان موسى يلزمه هرون، وإيليا يعوزه إليشع، وبولس بحاجة لبرنابا. إن بطرس وأندراوس، وابني الرعد، قد أرسلا معاً، لأن الرب كان محتاجاً لكليهما وكان كل منهما يحتاج إلى الآخر، وكان كل منهما يكمل نقصات الآخر. فالمعلم بحاجة إلى الشخص البعيد النظر، تماماً كحاجته إلى الشخص ذي البصيرة والنظر الثاقب للأمور. والتناقضات إذن تظهر في الثنائيات بين الرسل. فما ينقص في شخص، كان الآخر يكمله، وكان يخرج من شخصين غير مكتملين شخص مكتمل.

٦- دارس بطيء الاستيعاب

على الرغم أن فيلبس لم يكن بأي حال من الأحوال الأذكى بين الرسل، إلا أنه كان مختاراً من قبل يسوع ولذلك كانت له مكانة في خطته وغرضه. ما هي الصفات البارزة لهذا المواطن من بيت صيدا؟ مع أن الأناجيل لا تحكي لنا كثيراً عن فيلبس، إلا أن ما سجل يكفي ليعطينا صورة منطقية عنه. في البداية، نراه كرجل ذي عقل كثير الاستفسار، وفي شهادته إلى نثنائيل قال: «وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء». لقد اتبع أندراوس ويوحنا المسيح بناء على شهادة يوحنا المعمدان وما أملته قلوبهما عليهما. ولكن فيلبس قبل المسيح وتبعه لأنه وجد أن المسيح يحقق كل النبوات وتتم فيه كل الأوصاف المذكورة عنه في العهد القديم.

ولكن على الرغم أن فيلبس قد عاش مع المسيح، إلا أنه فشل في فهم حقيقة أنه جاء كالإعلان الكامل لله، وكالشخص الذي لديه القدرة على كل شيء. لم تكن درجة ذكائه الروحي مرتفعة، ولكن الرب كان يضم البليد والذكي جنباً إلى جنب في خدمته. يصف جرينهوف فيلبس بأنه عملي وحازم في قراراته، ولكن إدراكه الروحي كان ضعيفاً.

«كان عقله دقيقاً، ومنهجياً وآلياً تقريباً – عقل رجل أعمال منضبط، حي الضمير، متثاقل الخطى – ولكن بلا ابتكار. لم يكن لديه سوى القليل من الطموح الأخلاقي، وكان بطيئاً في الفهم وبطيئاً في الإيمان بما لا يستطيع أن يراه».

وكون فيلبس يتميز بمنطق جامد، واتجاه فكري مادي يظهر في ارتباطه بمعجزة إطعام الجماهير على الشاطيء الشرقي لبحر الجليل. إن الاثارة الشعبية التي خلقتها أفعال وأقوال يسوع أتت بجمهور من المعجبين الشغوفين إلى مكان بعيد عن مصادر الطعام، ولكون يسوع مهتماً بالاحتياجات البشرية لأولئك الذين احتشدوا حوله، فإنه

عرض المشكلة على فيلبس: «من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟» (يو ٦:٥).

لماذا اختار المعلم هذا التلميذ ليسأله؟ لم يكن ذلك بقصد الحصول على المعلومة لأن يسوع كان يعرف كيف يمكن تلبية هذا الاحتياج. كان ذلك بقصد التعليم. كان السؤال تعليمياً. سأل يسوع ليمتحن فيلبس (يو ٦:٦). والكلمة (يمتحن) هذه تعني «يجرب أو يختبر». ها هنا فيلبس والباقون، في مكان لا يوجد فيه خبز، وكان الظرف امتحاناً لإيمانه بقوة المسيح. ولكن التلميذ كان بطيئاً في الاستيعاب، وكانت نتيجة السؤال هو عدم الإيمان. بعد أن استفسر فيلبس، وجد أن «ما يساوي مئتي دينار من الخبز» فقط هو المبلغ المتاح لإطعام الجموع، وكان هذا القدر الضئيل لا يكفي لاطعام كل هذه الأفواه الجائعة. كانت المائتا دينار تمثل كل النقود الموجودة في الخزانة المشتركة، وأخذ فيلبس يحسب ووجد أن مثل هذا المبلغ الهزيل لا يكفي لشراء الخبز المطلوب.

من الطبيعي أن يكون فيلبس الحذر والعملي التفكير متردداً بشأن اتخاذ خطوة ما لم ير الطريق التي يسلك فيها. كان رجلاً يعرف الكثير من علم الحساب مما يجعله غير ميال للقيام بمغامرات. ولأنه كان بطيئاً في الفهم الروحي، كان لا يستطيع أن يتصرف سوى بناء على الموارد التي لديه. كان قصد المسيح من هذه المعجزة أن يختبر إيمان فيلبس ويعمق فهمه للجانب الإلهي من إرساليته، ولكن حيرة تلميذه في حل المشكلة المعروضة أظهرت أنه يحتاج إلى مزيد من التدريب لهذا التلميذ بطيء الفهم في مدرسته. أظهر الامتحان أن فيلبس كان ينقصه «الخيال الروحي، وقوة البداهة وكنتيجة لذلك كان بطيئاً في الوصول إلى رؤى الإيمان».

لقد اختير فيلبس ليس لامتحان إيمانه فقط، بل لمواجهة تحدي هذه الفرصة العظيمة. فلنفترض أنه استجاب لسؤال المسيح عن الحصول على خبز لمثل هذا الجمع بالقول: «حسناً يارب، أنت تعرف كيف. أنت الكلي القدرة وأكثر من قادر على إعداد مائدة في هذه البرية». كم كان ذلك الرد يعود بالمجد ليسوع! ولكن فيلبس لجأ إلى الحسابات العقلية ليحل مشكلة لا يوجد حل لها سوى عند إله. مسكين فيلبس لأنه فقد فرصته وبركته، لأن يسوع اتجه إلى شخص آخر - حتى وإن كان ولدا صغيراً، ليثبت أنه لا يوجد احتياج يعسر تلبيته أمام قوته. كان إيمان فيلبس قليلاً، وفي رده على سؤال المسيح، أظهر ضعفاً جذرياً في الإيمان بأن الله قادر على كل شيء. أظهرته تلك الحادثة كواحد من أكثر الأشخاص مادية في الجماعة. وكان بحاجة ماسة إلى تعليم المسيح الأكثر صبراً واحتمالاً لينمي فيه العقلية الروحية. لاشك أنه تعلم أنه لا شيء يعسر على تلك القوة القادرة، عندما ترغب في الاعلان عن ذاتها. فإذا كنا نمتلك أي قدر من الحكمة التجارية، دعنا لا نفشل في الاتكال على المدبر الإلهي. أمامنا الطريقة الإلهية، كما توجد أيضاً طريقة الإدراك العادي للنظر إلى الأمور.

٧- مرشد لا يستطيع القيادة

النظرة التالية التي تلقيها على فيلبس متعلقة بجماعة اليونانيين الذين صعدوا ليسجدوا في العيد (يو ١٢:٢٠-٢٢). كان هؤلاء الأمميون، الذين تدفعهم رغبة حقيقية لرؤية المسيح قد سمعوا كثيراً عنه، فاقتربوا من فيلبس بسؤال: «ياسيد، نريد أن نرى يسوع». ولكنه لسبب ما لم يستطع أن يقرر تقديم هذه النفوس الباحثة عن يسوع إليه على الرغم أنهم التجأوا إليه لهذا الغرض. كانت لديه خبرة سابقة تهديه لأنه هو من بحث عن نثنائيل ليقدمه إلى يسوع، ولكنه الآن وهو في موقف الوساطة تردد. ربما

تساءل فيلبس عما إذا كان يسوع سوف يستقبل هؤلاء الأممين أم لا، ولذا فحيث أنه كان خائفاً من القيام بالمخاطرة فقد أوكل المهمة إلى أندراوس شريكه.

قد يكون من صفات فيلبس المميزة لشخصيته أنه كان دمث الأخلاق يسهل الاقتراب منه، ولتأثر اليونانيين بكرم أخلاقه،فقد شعروا أنه يمكن أن يكون الشخص المناسب الذي يستطيعون أن يكاشفوه برغبة قلوبهم. ولكن الحقيقة تبقى أنه كان يحمل اسماً يونانياً، ولذا فمن الجائز أنهم اعتقدوا أنه كان مثلهم من أصل يوناني. يقول لانج: «إن التجاءهم إلى فيلبس كان يعتمد على قانون التجاذب النوعي». وحيث أنه لا وسطاء بين النفس والمسيح، فإن هؤلاء اليونانيين كان يمكنهم أن يذهبوا مباشرة إليه. ثم أنه لم يكن من باب الاحتشام والتواضع أن يمتنع فيلبس عن أن يكون وسيطاً بين هؤلاء الباحثين وبين الشخص الذي كانوا يطلبونه، بل كان بسبب نقص الثقة في النفس مما جعله يتجه إلى أندراوس طلباً للنصيحة.

ربما يلتمس بعض العذر لتردد فيلبس نظراً لنوع تفكيره، لقد تذكر تحذير المعلم «وفي طريق أمم لا تمضوا». ولكن على الرغم أنه كان يعيش على حدود بلدهم، وكان لديه تعاطف سري مع حالتهم كمنبوذين، فقد كانت تنقصه الشجاعة لتقديم الغرباء إلى معلمه. وبذلك فقد كان على وشك أن يفقد فرصة أخرى لخدمته. ولحسن الحظ، استشار فيلبس أندراوس، ومضيا سوياً وأخبرا يسوع بطلبة الأمميين المتهودين حديثاً. وحيث أن كلا من هذين الرسولين كانا سائلين، فقد تعاطفا مع أولئك الذين جاءوا لكي يلتمسوا وساطتهما لمقابلة يسوع. أليس من المفرح أن نرى هذين الرسولين اللذين كان يعرف كل منهما الآخر في مقتبل حياتهما، يعملان سوياً في ارتباط وثيق الصلة؟ لقد كان لهما الامتياز أن يكونا واسطة لإعلان الحقيقة السرية عن موت يسوع وقيامته. كم كانا مبهورين برد السماء على طلب يسوع، «أيها الآب مجد اسمك»، وكم كانا ممتنين لأنهما كانا مرشدين لأولئك الأمميين - باكورات هذا الحشد المجيد. ولم يدركا تماما أنهما كانا الواسطة في هذا الحدث المجيد بالتحول العظيم في تاريخ العالم، ألا وهو، إرشاد الأيدي الممتدة للوثنية في بحثها عن الله.

٨- تلميذ كانت تنقصه البصيرة الروحية

في خلال الساعات الحزينة التي قُضيت في العلية المعدة لعيد الفصح أظهر يسوع ذاته كالوسيط بين الإنسان والله (يو ١٤:٦). وقد أعلن بنفسه أنه هو والآب واحد، وأعلن عن فضائله وأغراضه. ثم سأل فيلبس «ياسيد، أرنا الآب وكفانا» (يو ١٤:٧-١٢). هنا مرة أخرى، نرى فيلبس كالكمبيوتر العملي الذي ينفذ صبره سريعاً بالنسبة. لأي شيء روحي غامض. فالرؤية هي الإيمان بالنسبة له، لقد فشل في أن يتذكر أنه كرسول، كان يجب أن يكون الإيمان يعرف أنه عندما (يؤمن) فإنه يستطيع أن (يرى) وليس العكس. ألا تستطيع أن ترى فيلبس وهو يرتجف حين أجابه يسوع بالقول «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟». أليس من الغريب أن الشخص الذي كان فيلبس قد اقتاده إلى المسيح في البداية كان لديه الإعلان الداخلي بهويته بمجرد أن رآه: «أنت ابن الله! أنت ملك إسرائيل» (يو ١:٤٩). فمن المحزن أن فيلبس لم يستطع في نهاية رحلته مع المسيح أن يتوصل إلى مارآه نثنائيل في بداية تلمذته.

لاشك أن فيلبس كان صادقاً في الحديث عن أن رؤية الآب تكفينا، ولكنه افتقد الرؤية ونال التوبيخ المحب لربه حينما قال له: «الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب؟» لاحظ الاستعمال الرقيق للاسم - يا فيلبس- النابع من الصداقة الحميمة. فعلى الرغم من وجود الحزن

في قلب يسوع بسبب عبارة فيلبس، إلا أن توبيخ المعلم كان رقيقاً وهيناً. لقد فشل فيلبس أن يرى في يسوع تحقيق الإعلان عن الآب، وأنه على الرغم أنهما كانا متميزين في الأقنومية، إلا أنهما كانا واحداً في القوة، والعطف، والحكمة، والنعمة والمحبة. لابد أن فيلبس شعر بالخجل لفشله أن يرى في يسوع بهاء مجد الآب ورسم جوهره (عب ١:٣). بعد هذا الإعلان، لم يكن لدى فيلبس شك أن يسوع الذي كان يعرفه كان بالفعل الطريق إلى الآب، والحقيقة عن الآب، والحياة من الآب (١٤:٦).

إن الرؤية الوحيدة للآب كانت في وجه يسوع، وكان فيلبس ينظر إلى ذلك الوجه ما يقرب من ثلاث سنوات، ولكنه فشل في رؤية الكنز الذي أراده.

لقد اتبع المسيح، وعمل لأجله، وتعلم منه، وكان له امتياز الشهادة له، ومع ذلك كان الآب فيه، ولم يكن فيلبس يعرف ذلك. فقد طلب ما كان لديه بالفعل.

يقول أ.ب بروس في «تعليم الاثنى عشر»: إن الجهل والعجز الروحي لفيلبس بعد كل هذه المدة كان محبطاً ليسوع، ولكن المسيح كان يتسم بصبر لا ينفذ، ولم يشعر بالإساءة لا بسبب غباء فيلبس ولا للتناقض الذي توهمه في العبارة التي قالها يسوع». لم يكن مطلب فيلبس أن يرى الآب ضرورياً، بل كان ينم عن شيء من الجهل وعدم الادراك الروحي من جانبه فبعد ما يقرب من ثلاث سنوات من التعليم الروحي تحت إرشاد المسيح وتوجيهه، مازال فيلبس تلميذاً جاهلاً - يتعلم دائماً دون أن يصل إلى معرفة حقيقة الله الظاهر في الجسد. وبعد وقت طويل، كان لا يزال أسير الحواس، راغباً في رؤية بصرية لله. هل يحق لفيلبس الذي حصل على امتياز تلقي الفكر الروحي وتمتع به على مدى عدة سنوات من تلمذته، أن يطالب بدليل مادي على حقيقة الله؟ لقد فشل في إدراك أن الله كان في المسيح.

يوجد في سؤال فيلبس جانبان. جانب سيء وجانب حسن، يا سيد أرنا الآب وكفانا. الجانب السيء أن فيلبس كانت لديه فكرة خاطئة أن الله يمكن أن يرى بالعين المادية. ومع أن الله في المسيح كان واقفاً أمام فيلبس، إلا أنه لم يعرفه. والجانب الحسن في سؤال فيلبس ظهر في الشوق الداخلي، والحنين إلى من سوف يروي ظمأه ويريح قلبه. وكما أن اليونانيين الذين جاءوا إلى فيلبس أرادوا أن يروا يسوع، هكذا فإن فيلبس نفسه رغب في رؤية الله، مصدر الفرح الرئيسي لنفس الإنسان. صحيح أن فيلبس قد فاته الكثير، ولم يفهم، وكان أعمى روحياً، ولكن قلبه كان منصرفاً إلى رؤية من لا يرى، ومصدر كل الحياة والحقيقة «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله».

٩- رسول مضى قدماً ليخدم

وكأخ ذو رتبة أقل بين زمرة الرسل الآخرين، فرح فيلبس بالمجد الذي آل إليه بعد أن استولت على مشاعره حقيقة لاهوت المسيح. وعلى الرغم من أن قدراً كبيراً من حياته اللاحقة غير معروف لنا، إلا أن ما لدينا يكفي لاقناعنا بأنه قد تغلب على كل نقائص شخصيته، وأنه قام بالمهمة التي كلفه بها ربه المقام وبقية الرسل، قبل صعوده، خير قيام. مضى فيلبس يكرز بالإنجيل، عالماً أن الرب كان معه يثبت الكلمة بالآيات (مت ٢٨:١٦-٢٠، مر ١٦:١٩-٢٠).

يظهر اسم فيلبس في قائمة الرسل المجتمعين في العلية للصلاة والتضرع، وقد كان واحداً منهم حين قبل معمودية الروح القدس بقوة في ذلك اليوم التاريخي، يوم الخمسين، مما مكنه من الكرازة بالإنجيل بلغة الناس المجتمعين معاً من كل أمة تحت السماء (أع ١:١٣، ٢:١-٧). كان فيلبس واحداً من الرجال الجليليين الذين أعلنوا عن أفعال الله العجيبة (أع ١:١١). ويزين اسمه واحداً من الاثنى عشر

أساساً للمدينة المقدسة (رؤ ١٤:٢١). وإذ نترك تأملنا في فيلبس، فما يشجعنا أن الرب يستخدم الأغبياء كما يستخدم الأذكياء في خدمته. وإذ ننظر حولنا إلى من يشكلون كنيسته نرى أنه محتاج لكل مراتب الذكاء. فإذا كنا، كفيلبس، مدركين لإيماننا الناقص، ومعرفتنا المحدودة، فدعنا نواصل السير حتى نحصل على النور الكامل «الذي يتبعني لا يمشي في الظلمة، بكل يكون له نور الحياة».

إذا كان يسوع المسيح إنساناً
وإنساناً فقط، فإني أقول
سوف التصق به دوناً عن سائر البشر
وابتعد عن كل ما عداه
وإذا كان يسوع المسيح إلهاً
والإله الوحيد، فاني أقسم
بأن أتبعه في السماء والجحيم.
والأرض، والبحر، والهواء!